﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس: 52]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

سؤالُ المُنْكِرِ عند بَعثِه عمَّن بعثَه من مرقَدِه

لـمّا تشوَّفَتِ النَّفسُ إلى سماعِ ما يقولون إذا عاينوا ما كانوا يُنكرون استأنفَ فقالَ: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[1]، ولأنَّ الكفّار يعتقِدون في الدّار الدُّنيا أنَّهم لا يُبعثون من قُبورِهم، فلمّا خرَجوا منَ الأجداثِ مُسرعين وعاينوا ما كذَّبوا به في محشَرِهم قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾: (رقد) أصلٌ يدُلُّ على النَّوم[3]؛ و(الرُّقادُ والرُّقودُ): النَّومُ باللَّيلِ، أو هو المُستَطابُ منَ النَّومِ القليلِ[4]، و(المرقدُ) يحتملُ أن يكون مصدرًا ميميًّا، وأن يكونَ اسمَ مكانٍ للقبرِ؛ أي: المضجَع، وسُمّي القبرُ مَرقدًا؛ لأنَّ النَّومَ أخو الموتِ[5]، و(أرقَدَه): أنامَه، و(أرقَدَ بالمكانِ): أقامَ به[6]، و(الرَّقدةُ) أيضًا: همدةٌ ما بينَ الدُّنيا والآخرةِ[7]، والمَرقَدُ في الآيةِ: مكانُ الرُّقادِ، وقد أطلَقوا الرُّقادَ على الموتِ والاضطجاعِ في القُبورِ تشبيهًا بحالةِ الرّاقدِ[8].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 142.
(2) ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم: 6/ 517.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رقد).
(4) الراغب، المفردات: (رقد).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (رقد).
(6) الجوهري، الصحاح: (رقد).
(7) الخليل، العين: (رقد).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 37.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ الكافرون عند خُروجِهم منَ الأجداث: يا قومَنا انظُروا هلاكَنا وتعجَّبوا منه، مَن بعَثَنا من قُبورِنا بعد موتِنا؟ حينَئذٍ يُجيبُهم المُؤمنون فيقولون لهم: هذا هو البعثُ الذي وعَدَ به الرَّحمنُ، وقد صدقَ رسلُه فيما أخبرونا به[1].

تعجُّبُ الكافرين من أهوالِ البعثِ؛ لأنَّهم كانوا لا يتَوقَّعون نُشورًا

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مُناسبةُ الفصلِ في الآيةِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ على طريقِ الفصلِ؛ لأنَّ الجملةَ استئنافٌ بيانيٌّ، فكأنَّ سائلًا سألَ: فماذا يكونُ حالُ المُشركين عندَ النَّفخِ في الصّورِ وقبلَ أن ينسِلوا؟ فأُجيبَ: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾.

تنبيهُ السّامعين على ما يقولُه الكافرون حين يُنفَخُ في الصّورِ وجهٌ للعِظةِ والاعتبارِ

ومُناسبةُ مجيءِ الجملة استئنافًا تنبيهُ السّامعينَ على ما يقولُه الكافرون حين يُنفَخُ في الصّورِ، فيعتَبروا، وفيه إيجازٌ بتكثيرِ المعنى وتقليلِ اللَّفظِ، كما أنَّه لمّا كان المقصودُ ذكرَ الأحداثِ وبيانَ تسلسُلِها ناسبَ عدمَ انقطاعِ الكلامِ بذكرِ السُّؤالِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

أوثرَ حكايةُ قولِ الكافرين بصيغةِ الماضي في قولِه: ﴿قَالُواْ﴾ مع كونِه لم يقَعْ بعدُ؛ إتباعًا لحكايةِ ما قبلَه بصيغةِ المُضيِّ؛ لبيانِ أنَّه مُتحقِّقُ الوقوعِ[3].

الإيذانُ بأنَّ الفعلَ مُتحقِّقُ الوقوعِ لا محالةَ

دلالةُ الضَّميرِ في جملة: ﴿قَالُواْ﴾:

لمّا كان الضَّميرُ يعودُ إلى ما قبلَه بما اتَّصفَ به دلَّ على أنَّ

قولُهم بالويل مُناسبٌ لِما يشهدونَه من هَولٍ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 457، 458، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 581، 582، والمراغي، تفسير المراغي: 23/ 20.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 252.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 37.

الضَّميرَ في: ﴿قَالُواْ﴾ عائدٌ إلى الكافرين بما اتَّصفوا به منَ الإعراضِ عن آياتِ اللّه، وتكذيبِهم بالبعثِ والذين ينسِلون منَ الأجداثِ في وقتِ النَّفخِ في الصّورِ، فيكونُ دعاؤُهم بالويلِ مُستحقًّا لهم؛ أي: يُنادونَ الويل بما عملوا وقدَّموا.

دلالةُ لفظِ (ويل) في السّياقِ:

الويلُ كلمةٌ يقولُها الواقعُ في مُصيبةٍ، أو المُتحسِّرُ للدَّلالة على سوءِ الحالِ، وإنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّهم عايَنوا ما أُعِدَّ لهم منَ العذابِ عندَما بُعِثوا[1].

الويلُ آهةٌ تُعبِّر عمّا في النُّفوسِ منَ الحسرةِ والألمِ

نكتةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿يَوَيْلَنَا﴾:

لمّا جاء لفظُ: ﴿يَوَيْلَنَا﴾ بالإضافةِ إلى ضمير الجمعِ، أفادَ أنَّ جميعَهم قالوا: ﴿يَوَيْلَنَا﴾، ولمّا كان كلٌّ واحدٍ في حينِه مشغولًا بنفسِه كان المعنى أنَّ كلَّ واحدٍ قال يا ويلي، فعبِّرَ بصيغةِ الجمعِ للإشعارِ بأنَّ جميعَ الكافرينَ المُكذِّبين يقولُ هذا القولَ.

الصّياحُ بالويلِ كان صادرًا من كلِّ واحدٍ، وعبَّر بالجمعِ عن جميعِهم

وفي إضافةِ الويلِ إلى الضَّميرِ (نا) إفادةُ الاختصاصِ؛ بمعنى: اختصاصِ الويلِ بهم دونَ غيرِهم.

اختصاصُ الويلِ بهم دليلٌ على فظاعةِ الحالِ

بلاغةُ المجازِ في النِّداءِ:

لمّا كان الأصلُ في النِّداء الذي هو بمعنى طلبِ الإقبالِ للعاقلِ كان نداءُ الويلِ في قولِه تعالى: ﴿يَوَيْلَنَا﴾ على طريقِ المجازِ؛ لتنزيلِه منزلةَ العقلاءِ؛ أي: منزلةَ مَن يسمَعُ فيُنادَى ليحضُرَ، فنادَوا بالهلاكِ لمّا عايَنوا أهوالَ القيامةِ وما فيها منَ الشِّدَّةِ العظيمةِ، فيكونُ نداؤُهم الويلَ بتقديرِ: يا ويلُ أقبِلِ واحضُرْ، فهذا وقتُ إقبالِكَ وأوانُ حُضورِكَ، ففي النِّداءِ معنى التَّأسُّفِ والتَّندُّمِ على ما تقدَّمَ والخوفِ والهلَعِ ممّا يرَون منَ الأهوالِ.

بيانُ الحالةِ العجيبةِ التي يكونُ عليها الكافرونَ يومَ الحشرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 37.

وأجاز بعضُ النُّحاة والمُفسِّرين أن يكون المُنادى محذوفًا بتقديرِ: يا قومُ ويلَنا[1]، وعلى هذا الوجهِ لا مجازَ في النِّداءِ، ونكتةُ حذفِ المُنادى في هذا الأسلوبِ بيانُ عظمةِ الهلاكِ الذي يرَونَه، وغلبتِه بين الكافرين، بحيثُ يُنادَى له كلُّ قومٍ، فكلُّ مَن يُعاينُ ذلك الهلاكَ يُنادي الويلَ، والمعنى: ليس بحضرتِنا اليومَ شيءٌ يُنادِمُنا إلّا الويلُ، وعلى كِلا الوجهَين في النِّداء يتولَّدُ منه التَّعجُّبُ ممّا يرَون، فكأنَّ التَّقدير على الوجهِ الأوَّل: يا عجَبًا احضُرْ، يا ويلُ احضُرْ، وعلى الوجهِ الثّاني: يا قومُ عجبًا وويلًا لنا، ويُفيدُ حرفُ النِّداء أيضًا تنبيهَ كلِّ مَن يسمعُ النِّداءَ على عِظَمِ ما هم فيه.

دلالةُ الاستفهامِ في السّياقِ:

الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ عن الذي بعثَهم من مرقدِهم، وهو سؤالٌ حقيقيٌّ، ولا يخلو منَ التَّعجُّبِ؛ أي: إنَّهم جهلوا الباعثَ مع علمِهم بأنَّه تعالى هو الباعثُ؛ لعِظَمِ هولِ الموقفِ وكمالِ حيرتِهم وفرطِ دهشتِهم وحسرتِهم، ويحتملُ أن يكون السُّؤالُ ليس على حقيقتِه[2]، فيكونُ مجازًا عن إظهارِ التَّحسُّرِ والغمِّ الذي أصابَهم منَ البعث وما عايَنوه من هولِ الموقفِ، فكأنَّهم كانوا يتمنَّونَ أن لا يُبعَثوا.

الاستفهامُ يحتملُ أن يكون حقيقيًّا، وأن يكونَ على المجازِ

توجيهُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

لمّا كان المرقدُ اسمَ مكانٍ منَ الرُّقودِ – وهو النَّومُ القليلُ الذي فيه سكونٌ واستطابةٌ – أفادَ أنَّ لفظَ: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ بمعنى الموضعِ الذي يكونُ في قُبورِهم، ويحتملُ أن يكونَ ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ مصدرًا ميميًّا بمعنى: رُقادِنا، وعبَّر بالمرقدِ الذي هو اسمُ مكانٍ على سبيلِ الاستعارةِ التَّبعيَّة[3]، بتشبيهِ مضجَعِهم في قُبورِهم بالمكانِ الذي ناموا فيه وسكَنوا، إشعارًا

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 457، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 142.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 162.
(3) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 458.

اختلاطُ عقولِ الكافرين واضطرابُها لهولِ الفزعِ الأكبرِ

بهَولِ ما يرَونَ؛ أي: إنَّهم لمّا عايَنوا عذابَ الآخرةِ، صارَ عذابُ القبرِ لهم كالرُّقادِ في جنبِ ما عايَنوه من عذابِ الآخرةِ[1].

وعلى القولِ: إنَّ المرقدَ مصدرٌ ميميٌّ يكونُ الكلامُ من قَبيلِ تشبيهِ رُقادِهم في قُبورِهم بنَومِهم في مضاجِعِهم، وتكونُ الاستعارةُ أصليَّةً[2]، أو تكونُ الاستعارةُ من وجهٍ آخرَ، وذلك بأن شُبِّهَ موتُهم بالنَّومِ بجامعِ عدَمِ ظُهورِ الأفعالِ الاختياريَّة لتعطُّلِ الحواسِّ وانقطاعِ تعلُّقِ الرّوحِ بالبدنِ؛ فإنَّ كلًّا منَ النّائمِ والميِّتِ لا يظهرُ فيه فعلٌ، ونكتةُ العدولِ إلى الاستعارةِ هو أنَّ النَّومَ أظهَرُ في تعطُّلِ الحواسِّ منَ الموتِ، والاستيقاظُ أظهرُ وأوضحُ للعيانِ من الإحياءِ بعد الموت؛ لتكرُّرِ النَّومِ واليقظة عليهم من قبلُ، فهم يعلمون حالَ النّائمِ؛ لتكرُّرِه عليهم، وليس كذلك الموتُ والحياةُ[3].

أو يكون الكلامُ على الحقيقةِ، بمعنى: أنَّهم ينامونَ بين النَّفخةِ الأولى والثّانية؛ أي: يرفعُ اللّه تعالى عنهم العذابَ بينَ النَّفختَينِ، فيرقُدونَ فإذا بُعِثوا بعد النَّفخةِ الأخيرةِ وعاينوا القيامةَ دعَوا بالوَيلِ، فالرَّقدة بين النَّفختَينِ[4] كما ذكره بعضُ المُفسِّرين، أو ظنّوا - لاختلاطِ عقولِهم بما شاهدوا منَ الهولِ، وما داخلَهُم منَ الفزعِ - أنَّهم كانوا نيامًا، أو شكّوا في أنَّهم كانوا نيامًا فنُبِّهوا، أو كانوا موتَى لكمال تحيُّرِهم حيثُ لم يبقَ لهم إدراكٌ، وكان الغالبُ على ظنِّهم هو البعثَ، فجمَعوا بين الأمرَينِ، فذكَروا البعثَ والمرقدَ[5]، وعلى هذا الوجهِ يكونُ المرقدُ على الحقيقةِ، ولا مجازَ فيه[6].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 528، والثعلبي، الكشف والبيان: 22/ 283، وأبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 367.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 74.

(3) الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن، ص: 93، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 161.

(4) ابن جرير، جامع البيان، تح: شاكر: 20/ 523، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 17.

(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 292، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 270، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 172.

(6) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 31.

سببُ إيثارِ مجيءِ لفظِ: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ بالإفرادِ:

على القولِ: إنَّ المرقدَ اسمُ مكانٍ فقد جيءِ بلفظ: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ بصيغةِ الإفرادِ مع أنَّ الكلام على صيغة جمعِ المُتكلِّمين؛ أي: كان الظّاهرُ أن يُقالَ: (من مراقدِنا)، لكنَّه عُدِلَ إلى المفردِ للإشعار بأنَّهم على تكاثُرِهم وتباعُدِهم كانوا في القيامِ منَ المرقد كنفسٍ واحدةٍ[1]؛ أي: في الوصفِ الذي يُبعَثون به، وفي الحال الذي يكونون عليه، وفي نفسِ الزَّمانِ والمكانِ.

الـنّـاسُ على تكاثُرِهم كانوا في الـقيامِ منَ الـمرقـدِ كنفسٍ واحدةٍ

تنوُّعُ المعنى لتنوُّعِ الوقفِ والابتداءِ:

الوقفُ على: ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وقفٌ حسَنٌ[2]، أو هو تامٌّ عند الأكثر[3]، ثمَّ يبتدئُ القارئُ بقوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، فيكونُ ﴿هَٰذَا﴾ اسمَ إشارةٍ يعودُ على البعثِ منَ المرقدِ، وهو مبتدأ وخبرُه: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، وقد وقفَ عليه حفصٌ عن عاصم وسكتَ سكتةً خفيفةً، ويجوزُ الوقوفُ على: ﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾، فيكونُ اسمُ الإشارةِ في محلِّ جرٍّ صفةً لـ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، ويكونُ ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبرًا لمُبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه: هذا، أو يكونُ ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأً وخبرُه محذوفٌ، وتقديرُ الكلامِ: ما وعدَ الرَّحمنُ وصدَّقَ المُرسلون حقٌّ[4].

كلُّ وقفٍ مذكورٍ عـنـد الـقـرّاء يـسـتـنـدُ إلى معنًى مأثورٍ

بديعُ التَّجاذُبِ في الآيةِ:

في الآيةِ فنٌّ بديعيٌّ لطيفٌ، وهو التَّجاذُبُ في لفظِ: ﴿هَٰذَا﴾؛ لأنَّ اسم الإشارة يحتملُ أن يكون من تمامِ السّابق، ويحتملُ أن يكون منَ اللّاحقِ[5]، ويجري في كلِّ ما يكون من قبيل وقف التَّعانُقِ، فإذا وُقِفَ على ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وجبَ وصلُ ﴿هَٰذَا﴾ بما بعدَه، وإذا وُصِلَ الكلامُ

الـوقـفُ المُشيرُ إلى التَّعانُقِ فيه تجاذبٌ في المعنى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 143.
(2) ابن الأنباري، إيضاح الوقف والبتدا: 2/ 854.
(3) الأشموني، منار الهدى: 2/ 190.
(4) ابن الأنباري، إيضاح الوقف والبتدا: 2/ 854، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 162.
(5) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 246، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 162.

بـ﴿هَٰذَا﴾، وجبَ الوقفُ عليه، والمعنى يصحُّ على الوجهين، وعلى الوجه الأوَّلِ؛ أي: أن يكونَ صفةً لـ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ هو الأقوى في المعنى، ويُؤَيِّدُه أنَّ الوقفَ على اسم الإشارة وقفٌ حسَنٌ.

بلاغةُ العدول بطريقِ الأسلوبِ الحكيمِ:

البقاءُ في القُبورِ كنوم النّائم، ثمَّ يستيقظُ الميّتُ مُسرعًا إلى ربِّه

كان الظّاهرُ أن يكون جوابُ سؤالِ: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ بتعيينِ الفاعلِ، وذكرِ اسم الباعثِ بأن يُقالَ: (الله) أو (الرَّحمنُ)، لكنَّه عدَلَ عن الجوابِ المُطابقِ إلى قولِه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، على طريقِ الأسلوبِ الحكيم[1]، ليُفيدَ معنيَي تعيينِ الباعثِ، وصدقِ الواعدِ، بمعنى: بعثَكُم الرَّحمن الذي وعدَكُم البعثَ، وأنبأَكُم به الرُّسلُ، والظّاهرُ أنَّ هذا الجوابَ من المؤمنين أو من الملائكة[2]، فجيءَ به على طريقةٍ سيئَتْ بها قلوبُهم، ونُعيَتْ إليهم أحوالُهم، وذكَروا كفرَهم وتكذيبَهم، وأخبروا بوقوعِ ما أُنذِروا به تبكيتًا لهم وتوبيخًا وتقريعًا، مع بيانِ الذي بعثَهم من مرقدِهم، وكأنَّه قيل لهم: ليس بالبعثِ الذي عرفتُموه وهو بعثُ النّائم من مَرقَدِه، حتَّى يهمَّكم السُّؤالُ عن الباعثِ، فإنَّ الذي يُهمُّكم هو السُّؤالُ عن نفسِ البعثِ ماذا هو دونَ الباعثِ، والذي بعثَكُم هو الرَّحمنُ الذي وعدَكُم ذلك في كتُبِه وأرسلَ إليكم الرُّسُلَ فصدَقوكم فيه[3]، فأفادَ العدولُ إلى الأسلوبِ الحكيم إشعارَهم بتكذيبِهم وتصويرَ حالِ كُفرِهم ليكونَ أهولَ، وفي التَّفريعِ على ما تقدَّم أدخلَ[4].

وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا من كلامِ الكافرين وجوابِهم

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 67، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 246.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 533، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 582، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 172.
(3) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 368، والزمخشري، الكشاف: 4/ 21، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 172.
(4) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 67.

لأنفسِهم، حيثُ يتذكَّرون ما سمِعوه منَ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ فيُجيبونَ به أنفسَهم أو بعضَهم بعضًا، فيكون إقرارًا منهم حين لم ينفَعْهم الإقرارُ، كما في قولِه تعالى فيما أخبرَ به عن قول الكافرين يوم القيامة: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠﴾ [الصّافات: 20][1]، فيكونُ الخبرُ مستعملًا في لازمِ الفائدةِ، وهو أنَّهم علِموا سببَ ما تعجَّبوا منه فبطلَ العجَبُ، فيجوزُ أن يكونوا يقولون ذلك كما يتكلَّمُ المُتحسِّرُ بينه وبين نفسِه، وأن يقولَه بعضُهم لبعضٍ كلٌّ يظُنُّ أنَّ صاحبَه لم يتفطَّنْ للسَّببِ فيُريدُ أن يُعلِمَه به[2].

نكتةُ التَّعبير باسمِ الإشارةِ: ﴿هَٰذَا﴾:

عبَّر باسمِ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ لتمييزِ المُشارِ إليه - وهو البعثُ منَ الأجداثِ - أكملَ تمييزٍ، وجاء بصيغةِ الإشارة إلى القريبِ للإشعارِ بتحقُّقِ البعثِ وتيقُّنِهم منه؛ لأنَّه إشارةٌ إلى الحالةِ المرئيَّةِ لجميعِهم وهي حالةُ خروجِهم منَ الأَرضِ[3].

تمييزُ البعثِ منَ الأجداثِ، والإشعارُ بوقوعِه يقينًا

دلالةُ كونِ ﴿مَا﴾ مصدريَّةً أو موصولةً:

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قولِه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أن تكونَ مصدريَّةً، والمعنى: هذا وعدُ الرَّحمنِ وصِدقُ المُرسلينَ، على تسميةِ الموعودِ والمصدوقِ فيه بالوعدِ والصِّدقِ، فتكونُ الإشارةُ إلى نفسِ حدَثِ البعثِ، وتحتملُ أن تكونَ موصولةً بمعنى (الذي)، والتَّقديرُ: هذا الذي وعدَ الرَّحمنُ وصدَقَ المُرسَلون، فتكونُ الإشارةُ إلى أثرِ البعثِ؛ أي: قيامِهم منَ القُبور ينسِلون، يدعونَ بالويل على أنفُسِهم، وإذا كانت ﴿مَا﴾ اسمًا موصولًا فالعائدُ في جملة: ﴿وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ محذوفٌ؛ أي: وعدَه الرَّحمن، أو وعدَ به الرَّحمنُ، وأمّا

وَعدُ الرَّحمنِ وصِدقُ المُرسَلين، أمرٌ واقعٌ بيقينٍ

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 291، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 17، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 172.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 38.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 38.

العائدُ في جملةِ: ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ فتقديرُه: وصدَّقَه المُرسلون، بمعنى: والذي صدقَ فيه المُرسلون[1].

سببُ إيثارِ التَّعبير بالوعدِ في السّياقِ:

وعـدُ الرَّحـمـنِ تـبـكـيـتٌ وقـهـرٌ لـلـمُـنـكـريـن للبعثِ في نهايةِ الزَّمانِ

جيءَ بصيغةِ الوعدِ في قولِه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، للإشارة إلى ما استهزأ به الكافرون في قولِهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، ففيه تبكيتٌ لهم، فكأنَّه قد قيلَ لهم في الجوابِ: هذا هو الوعدُ الحقُّ الذي كنتم به تستهزئون وتُكذِّبون.

نكتةُ إسنادِ الوعدِ إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾:

عـذابُ الـبـرزخِ بـالـنِّـسـبـة إلى عـذابِ الآخـرةِ هيِّنٌ

فائدةُ الخبر في قولِه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ هي تقريرُ أنَّ الله صادقُ الوعدِ لا يُخلِفُه، ويُشير إلى أنَّ الوعدَ الذي كان رسول الله ﷺ يُنذرِكُم به هو وعدُ الرَّحمن، ولم يكُنْ وعدًا من عند نفسِه، ففيه توبيخٌ لهم على تكذيبِهم رسولَ الله ﷺ وزيادةٌ في التَّبكيتِ.

نكتةُ التَّعبير بوصفِ الرَّحمانيَّةِ:

صفةُ الرَّحمن لا تقتَضي إهمالَ الظّالم، ناهيكَ عن صفةِ القهرِ والانتقامِ

عبَّر بوصفِ الرَّحمانيَّة الدّالِّ على عُمومِ الرَّحمةِ في قولِه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ للإشعارِ بأنَّه إذا كان بعثُكم والهولُ الذي صاحبَه بوصفِ رحمانيَّتِه سبحانَه فكيف إذا عاملَكُم بعدلِه ووفّاكُم الحسابَ؛ أي: إذا كان هذا الهولُ الذي ترونَه في بدايةِ أمرِ القيامةِ وهو بوصفِ الرَّحمانيَّةِ فكيف ما بعدَه؟.

وفيه إشعارٌ آخرُ بأنَّ صفةَ الرَّحمن لا تقتَضي إهمالَ الظّالم، فكيف إذا انضمَّ إليها صفةُ القهرِ والانتقام[2]..

وفيه إشارةٌ كذلك إلى أنَّ رحمتَه مُقتضيةٌ ولا بدَّ للبعثِ؛ ليُنصِفَ المظلومَ من ظالمِه ويُجازيَ كلًّا بعملِه من غير حَيفٍ، وقد رحمَنا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 20، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 74.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 161.

بإرسالِ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ إلينا بذلك، وطالَما أنذَرونا حلولَه وحذَّرونا صُعوبتَه وطولَه[1].

وفي الإخبارِ بوصفِ الرَّحمانيَّةِ أيضًا تنبيهٌ لجميعِ النّاسِ بأنَّه في ذلك اليومِ العظيم سيرَونَ من رحمتِه ما لا يخطرُ على الظُّنونِ، ولا حسبَ به الحاسبون[2]، وعلى القولِ: إنَّ الكلامَ منَ الكافرين يُجيبونَ به أنفُسَهم يكونُ في التَّعبيرِ بوصفِ الرَّحمانيَّةِ إقرارٌ به بعد أن قالوا من قبلُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ۝٦٠﴾ [الفرقان: 60]، ولطمعِ الخلاصِ عمّا ظهرَ لهم من طولِ الحسابِ وشدَّةِ العذابِ[3].

بديعُ الاحتباكِ في السّياقِ المُحكَمِ:

في قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ احتباكٌ، ويُسمَّى حذفَ المُقابلِ أيضًا؛ أي: حُذِفَ منَ الأوَّلِ ما أُثبِتَ نظيرُه في الثّاني، وحُذِفَ منَ الثّاني ما أُثبِتَ نظيرُه في الأوَّلِ، وبيانُه: أنَّه لمّا قال: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ كان على تقديرِ: هذا ما وعدَ الرَّحمنُ فصدَقَ في وعدِه، ولمّا قال: ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ كان على تقديرِ: وصدَقَ المُرسلون فيما وعَدوا به، أو فيما بلَّغوه من وعدِ اللّه.

وعـدُ الـرَّحـمـن حـقٌّ، ووعـدُ المُرسلين صِدقٌ، والثّاني منَ الأوَّلِ

نكتةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾:

لمّا نسبَ فعلَ الصِّدقِ إلى ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أفادَ أنَّهم صدَقوا في قولِهم، ومَن صدَقَ في قولِه يوصَفُ بأنَّه صادقٌ، ويُفيدُ الإخبارُ بصدقِهم اعتقادَ المُتكلِّم صدقَهم؛ فإنَّ الإخبارَ عن شخصٍ بأنَّه صدقَ في أمرٍ ما يُفيدُ أنَّ المتكلِّم قد اعتقَدَ صدقَه، فيكونُ تقريرًا لاعتقادِ المؤمنين صدقَ المُرسلين وردًّا على الكافرينِ في وصفِهم المُرسلينَ بأنَّهم كاذبون.

لا يـوصَـفُ بأنَّه صـــادقٌ إلّا مَـن يـصـدُقُ، ويتحرَّى الصِّدقَ

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 356.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 697.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 161.

ونكتةُ الرَّدِّ عليهم يومَ القيامة - مع أنَّه لا ينفعُ الإيمانُ حينَئذٍ - أن يكونَ زيادةً في تبكيتِهم وندمِهم، فهو نوعٌ من العذابِ.

وعلى القولِ: إنَّ الجوابَ من الكافرين لأنفسِهم يكونُ الإخبارُ عن صدقِ المُرسلين على سبيلِ التَّندُّمِ والتَّحسُّرِ، ولاتَ ساعةَ مندمٍ.

فائدةُ (أل) في قولِه: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

(أل) في قولِه تعالى: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ للاستغراقِ، فاللَّفظُ يتَناوَلُ جميعَ المُرسلين، ليُفيدَ أنَّه ما من رسولٍ إلّا وبلَّغَ بيوم البعثِ، وما يكونُ بعدَه من أحوالِ القيامةِ.

مناسبةُ مجيءِ لفظِ: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بصيغةِ الجمعِ:

مَـن يُـكـذِّبِ الرَّسولَ الخاتمَ فـكـأنَّـه كـذَّب جميعَ المُرسلين

جُمِعَ لفظُ: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مع أنَّ المَحكيَّ كلامُ المُشركين الذين يقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ استهزاءً وتكذيبًا؛ للإشعارِ بأنَّ مَن يُكَذِّبُ رسولَ الله ﷺ فكأنَّه قد كذَّب جميعَ المُرسلين؛ لأنَّ جميعَهم أبلَغوا قومَهم بهذا الوعدِ، أو أنَّ المشركين لمّا أحالوا أن يُرسِلَ الله بشرًا رسولًا كان كأنَّما كذَّبوا جميع المُرسلين، وإن كان قولُه: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من قولِ الكافرين فيكونُ القولُ قد صدَرَ عن جميعِ الكُفّارِ المبعوثينَ من جميع الأُممِ، فعلمت كلُّ أمَّةٍ خطأَها في تكذيبِ رسولِها وخطأَ غيرِها في تكذيبِ رُسُلِهم، فنطقوا جميعًا بما يُفصِحُ عن الخطأَينِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرُّقودُ هو النَّومُ القليلُ الذي يكون فيه سكونٌ واستِطابةٌ، والنَّومُ أعَمُّ منه

الرُّقودُ والنَّومُ:

الفرقُ بينهما أنَّ الرُّقودَ هو النَّومُ القليل الذي يكون فيه سكونٌ واستِطابةٌ، ويكون الرّاقدُ على حالِ المُضطجعِ أو المُستلقي على موضعِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 38.

رُقودِه[1]، وأمّا النَّومُ فقد يكون طويلًا أو قصيرًا، وقد يكونُ فيه سكونٌ وطُمأنينةٌ، وقد يكون فيه اضطرابٌ، وقد ينامُ الإنسانُ واقفًا أو قاعدًا أو مُستلقيًا، فالنَّومُ أعمُّ منَ الرُّقودِ، والتَّعبيرُ بالمرقدِ في الآية لشعورِهم بأنَّهم لم يلبَثوا في قُبورِهم إلا قليلًا.

(1) الراغب، المفردات وجبل، المعجم الاشتقاقي: (رقد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»